

اجتهادات الفنان .. والمكان

احتفاء واسع بظهور لوحة لم تُعرض من قبل للفنان الهولندي فان جوخ، والإعلان عن عرضها في عدد من المعارض في أمستردام وباريس وعواصم أخرى بعد أيام. إنها لوحة (مشهد في شارع بحى مونمارتر)، التي رسمها خلال إقامته في باريس عام 1887، واقتنتها عائلة فرنسية منذ ذلك الوقت. كانت اللوحة مسجلة ضمن أعمال فان جوخ، وطُبعت صورتها في بعض الكتب الفنية، ولكنها بقيت محجوبة عن محبى الفن الجميل إلى أن قرر مقتنوها بيعها.

وكان فان جوخ أحد كبار الفنانين الذين تأثروا بأماكن عاشوا فيها، أو زاروها، فاستلهموا بعض أعمالهم منها، أو سجلوا انطباعاتهم عنها في هذه الأعمال. لوحات جميلة تُمثل كل منها لقطة في حياة واقعية وفق انطباع الفنان عنها، أو نظرته إليها.

وقد رسم فان جوخ هذه اللوحة من وحى شارع رو لوبيك القريب من محل إقامته في حى مونمارتر، الذى كان مقصد الفنانين، ولا يزال بدرجة ما، ربما بسبب طبيعته التى يمتزج فيها الريف بالحضر فى منطقة جبلية مرتفعة مشهورة بطواحين الهواء والنوادر الليلية، وكنيسة الساكرى كور، التى تُعد أشهر كنائس فرنسا إلى جانب كنيسة نوتردام. وليست هذه لوحة فان جوخ الوحيدة عن الأماكن، فقد استلهم أيضا البيت الذى استأجره خلال إقامته فى حى لامارتين فى بلدة آرل جنوب فرنسا، فى «لوحة «البيت الأصفر».

كما جذب حى مونمارتر فنانين كبارًا آخرين مثل الفرنسى بيير رينوار، الذى استوحى ملهى ليليا فى لوحة اسماها (رقص فى مولان دو لاجاليت) عام 1876.

وكثير هم الفنانون الذين يستوحون أعمالا جميلة من أماكن يعيشون فيها، أو يزورونها، ويتأثرون بها. ولعل آخرهم الفنانة الإنجليزية التى لم تحظ بشهرة واسعة دورين فليتشر التى استوحت أعمالها الأولى من منطقة «إيست إندس» فى شرق لندن فى ثمانينيات القرن الماضى، فرسمت عدة لوحات عن بعض شوارعها وحدائقها ومتاجرها ومقاهيها. وقد قادتنى المصادفة إلى مشاهدة هذه اللوحات فى صالة «نانيرى» خلال آخر زيارة إلى لندن، قبل أن تمنع جائحة كورونا السفر، وتشل الحياة الثقافية، كما الاقتصادية والاجتماعية، فى العالم.